الشواهد الشعرية لتوجيه المعنى في التفسير عند الخطابي (319 . 388هـ) في رسالته (بيان إعجاز القرآن).

أ . مصباح موساوي[1]
mosbahmoussaoui@gmail.com
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

ملخص

الشاهد الشعري يستدل به المفسر في معرفة المعنى المراد من الآية، ونظرا لنزول القرآن بلغة العرب، كان لزاما على المفسر أن يكون له رصيد لا بأس به من ديوان العرب، وكان من الصحابة ابن عباس رضي الله عنهما يسلك هذا المسلك لمعرفة غرائب القرآن، وهو الذي سجله السيوطي في كتابه الاتقان في مسألة مناقشات نافع الأزرق وهو يسأل ابن عباس عن بعض المفردات الغريبة في القرآن، فسلك في ذلك توظيف الشعر في بيان معنى اللفظة الغريبة في القرآن، مما جعل عمر بن الخطاب ﷺ يقول لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، الذي يقصد به شعر الجاهلية، حين سأل أصحابه عن معنى التخوف، فقام رجل من هذيل وقال: هذه لغتنا، واستدل بذلك ببيت من الشعر.

Abstract

Poetic evidence to guide the meaning of interpretation in AL khattabi

The poetic witness is explained by the interpreter in the knowledge of the meaning of the verse, and given the control of the Koran in Arabic, It was necessary for the interpreter to have a good balance of the Arab Bureau,

It was from the companions of Ibn Abbas, may Allah be pleased with them walking this course to know the oddness of the Koran, Which is recorded by al-Suyuti in his book workmanship in the question of discussions Nafie blue, asking Ibn Abbas about some strange vocabulary in the Koran, Which is recorded by al-Suyuti in his book workmanship in the question of discussions Nafie blue, asking Ibn Abbas about some strange vocabulary in the Koran, Which is meant by the poetry of ignorance, when asked his companions about the meaning of fear, so a man of Hail said: This is our language, and thus quoted a house of poetry.

One example of the extent to which poetry is used in uncovering the mystery of the Qur'anic verse and finding its linguistic meaning in its context is the letter of the speech entitled "The Miraculous Statement of the Qur'an." Ibn Abbas used the poetic witness to explain the meaning of the Qur'anic verse. To clarify the meaning of six words and Quranic letters to show the true meaning of the Quranic word, by choosing the poetic witness.

الكلمات الاستفتاحية: الشواهد الشعرية، الخطابي، إعجاز القرآن، ديوانكم، توظيف الشعر، الأصمعي، نافع الأزرق، الافتراس، الكيل اليسير، المشي، المضي، الانطلاق، الشديد،

يستعين المفسرون بالشاهد الشعري عند تعذر الوصول إلى معرفة اللفظ ودلالته في الآية، أو في تفسير بعض التراكيب، فالشعر يستعين به المفسر في معرفة مدلول الآية، ولأن القرآن نزل بلغة العرب، فكان لزاما على المفسر أن يكون له رصيد لغوي بارز، وخاصة من دواوين الشعر العربي، ومن هذا الرصيد الشعري يكتسب المفسر المهارة في فهم الآية من خلال السياق، هذا ما نلحظه حين حث النبي ﷺ على معرفة غرايب القرآن في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"[(2)].

وكان ابن عباس ﷺ يسلك مسلك المتتبع لمعرفة غرائب القرآن، ويتبع في ذلك توظيف الشعر في بيان المعنى في تفسيره، (وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم؛ ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة، فهذا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يسأل أصحابه عن

معنى قوله تعالى في الآية (47) من سورة النحل: (أَوْ يَأخُذَهُم عَلَى تَخَوُّفٍ) فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذِه لغتنا، التخوف: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعاره؟ فيقول له: نعم، ويروا قول الشاعر:

تخوف الرحل منها تامكًا قردًا ... كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر –رضي الله عنه– لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم)[3].

كما ذكر الصنعاني بسنده عن معمر، عن الكلبي، في قوله: {عَلَى تَخَوُّفٍ} النحل: 47، قال: على تَنَقُّصٍ يقول: (يصابون فِي أَطْرَافِ قراهم بالشيء حتى يأتي ذلك عليهم)[4].

وهذا ما قرره معظم المفسرين في الاستشهاد بالشاهد الشعري في بيان المعنى في الآية، وقريب منه ذكره الشوكاني في استدلاله بالمعنى المراد من اللفظة القرآنية بالشاهد الشعري، عن الواحدي[5]قال عامة المفسرينَ: (عَلَى تَخَوُّفٍ)، قال: تنقص إما بقتل أو بِموت، يعنِي بنقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذهم الأولَ فالأول حتى يأتِي الأخذ على جميعهم. قال: والتخوف التنقص، يقال: هو يتخوف الْمال أي: يتنقصه، ويأخذ من أطرافه، انتهى. يقال: تخوفه الدهر وتَخونه بالفاء والنون: تنقصه، قال ذو الرُّمَّةِ:

لا بل هو الشّوق من دار تخوّنها ... مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ تَرِبُ.

وَقَالَ لَبِيدٌ:

..... ** تخوّنها نُزُولِي وَارْتِحَالِي[6]، أي: تنقّص لحمها وشحمها، قال الهيثم بن عدي: التَّخَوُّفُ، بالفاء، التَّنَقُّصُ لُغَةً لأزد شنوءة، وأنشد:

تخوّف غدرهم مَالِي وَأُهْدِي ** سَلَاسِلَ فِي الْحُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ[7].

وكان الأصمعي . وهو إمام اللغة . لا يفسر شيئا من غريب القرآن، وحكى عنه أنه سئل عن قوله سبحانه: (قد شغفها حبا)، فسكت وقال: هذا في القرآن!، ثم ذكر قولا لبعض

العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شغاف؟، ولم يزد على ذلك، أو نحو هذا الكلام[8].

وكان ابن عباس ﷺ كثيرا ما يرجع في فهم ألفاظ القرآن إلى بيان ذلك بما عهده من كلام الأعراب، فقال: "كنت لا أدري ما: (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يريد: أنا ابتدأتها"، وذكر أبو العباس أنه سمع ابن الأعرابي يقول: أنا أول من فطر هذا أي ابتدأه. والفطرة، بالكسر: الخلقة؛ أنشد ثعلب:

هون عليك فقد نال الغنى رجل ** في فطرة الكلب لا بالدين والحسب[9].

وما مناقشات نافع الأزرق وعبد الله بن عباس ﷺ في غريب ألفاظ القرآن الكريم مما نقله المفسرون في كتبهم بالأمر الغريب، ينقلها السيوطي في كتابه الاتقان لتصل إلى مائتي مسألة، وهي دليل على أن هناك من أهل اللغة واللسان العربي في القرن الأول للإسلام كانوا يقفون عند بعض الألفاظ القرآنية يبحثون عن معانيها، لنؤكد أن غرائب القرآن كانت تعتري الكثير من العرب الخلص، لأن القرآن يحتوي على لغات القبائل الفصيحة، ولهذا فكل قبيلة تفهم لفظها الذي نزل به القرآن، ويعسر فهمه على قبيلة أخرى، ومن أمثلة ذلك ما أورده أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ)، في كتابه **لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم**: (لكنود) يعني: لكفور للنعم بلغة كنانة، و(تردى) مات بلغة قريش، و(مسغبة) مجاعة بلغة هذيل، و(كتاب مرقوم) مختوم بلغة حمير، و(سجرت) جمعت، بلغة خثعم، (أغطش ليلها) أظلم بلغة أنمار وهمدان، و(ثجاجا) يعني رشاشا بلغة الأشعريين، و(لواحة للبشر) حراقة بلغة أزد شنوءة، و(المهل) عكر الزيت بلغة البربر، و(الخرطوم) الأنف بلغة مذحج، و(انفضوا) ذهبوا بلغة الخزرج، وقوله تعالى (يس) يعني يا إنسان بلغة الحبشة)، مما اضطر الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر وابن عباس رضي الله عنهم إلى السؤال عنها[10]، ففي القرآن الغريب بمعناه اللغوي، وليس بمعناه البلاغي، فالغرابة على من لم يعهد على ألسنة البعض، أو ليس لديه اطلاع

واسع بلسان العرب، فالقرآن لا غرابة فيه بعيدة عن المعنى البلاغي، فالقرآن كله إعجاز، فالقرآن ميسر الذكر، ألفاظه سهلة المخارج، عذبة اللسان والصوت، يدركها كل خبير بالبيان والبديع.

وقد برز من بين الصحابة رضي الله عنهم، عبد الله ابن عباس ﷺ في العناية بتفسير القرآن وبيان غرائبه، واستحضار الشاهد من الشعر لفهم معانيه، فلقب بترجمان القرآن[11]، وعرف بحبر الأمة، وكان يجالس في فناء الكعبة فيكتنفه الناس ليسألوه عن تفسير القرآن.

قال أبو بكر بن الأنباري قد جاء عن الصحابة والتابعين – كثيرا – الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وأنكر جماعة – لا علم لهم – على النحويين ذلك وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن، وقالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث! فرد عليهم بن الأنباري بقوله:

" وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال: (إنا جعلناه قرآنا عربيا)، وقال: (بلسان عربي مبين).

وكان لابن عباس كثيرا ما يرجع إلى إظهار ما خفي من القرآن إلى الشعر، فقال: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"، وقال السيوطي: ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"[12].

ولعبد الله بن عباس موقف مشهور في تفسير القرآن والاستشهاد على كثير من غرائبه بأبيات من أشعار العرب.

كان تفسير عبد الله بن عباس لمسائل نافع بن الأزرق واستشهاده بأشعار العرب على تفسيره الدافع الأول في عناية العلماء بديوان العرب القديم، والعمل على فهمه وشرحه، وتوظيفه في بيان معاني الآيات.

من مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله ابن عباس:

أورد السيوطي في الاتقان مسائل نافع بن الأزرق الخارجي لعبد الله بن عباس وهو يسأله عن بعض غريب القرآن، فقال: بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما إليه فقالا إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع:

1 . أخبرني عن قول الله تعالى: (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) المعارج: 37، قال، العزون: الحِلق الرقاق[13]، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا.

2 . قال أخبرني عن قوله: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)، قال: الوسيلة الحاجة[14]، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحلي وتخضبي.

3 . قال أخبرني عن قوله تعالى: (وَرِيشًا) الأعراف: 26، قال: الريش: المال[15]، قال: وهل تعرف العرب ذلك: قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فرشني بخير طالما ما قد بريتني ** وخير الموالي من يريش ولا يبري.

4 . قال: أخبرني عن قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ) قال: في اعتدال واستقامة[16]، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت لبيد بن بيعة وهو يقول:

يا عين هلا بكيت أربد إذ ** قمنا وقام الخصوم في كبد.

5 . قال: أخبرني عن قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا)، الرعد: 31، قال: أفلم يعلم[17] بلغة بني مالك، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت مالك ابن عوف يقول:

لقد يئس الأقوام أني أنا ابنه ** وإن كنت عن أرض العشيرة نائبا.

6 . قال: أخبرني عن قوله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ) قال: ألجأها[18]، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

إذ شددنا شدة صادقة ** فأجأناكم إلى سفح الجبل[19].

ومن الأمثلة الموضحة لمدى توظيف الشعر في كشف غموض الدلالة اللفظية والتراكيب اللغوية في السياق القرآني ما جاء في رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي، وعلى نمط عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قد يتعرض الخطابي في كتابه لبعض الآيات التي تتسم بالغرابة، أو ندرة الاستعمال في كلام العرب، ويستشهد على ذلك بشواهد من الشعر القديم، كما يفعل في تفسير الألفاظ الغريبة سواء، وقبل سرد الشواهد الستة التي أوردها الخطابي في رسالته في توظيفه الشاهد الشعري في بيان المعنى في التفسير، يجدر بنا التعريف بالخطابي وتحديد عصره وترجمته ترجمة موجزة تناسب مقام المقال. –

الخطابي: أدبي لغوي محدث، أبو سليمان حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، ولد في رجب سنة 319هـ، وأقام ببست وفي فيها وإليها نسب.

نشأ محبا للعلم، فاجتهد في تحصيله فطوف من أجله البلاد، فرحل إلى العراق وتلقى العلوم بالبصرة وبغداد، ثم الحجاز فأقام بمكة فترة من الزمان، ثم عاد إلى خرسان، واستقر به المقام في نيسبور عامين أو أكثر، وصنف بها كتبه، ثم خرج إلى ما وراء النهر، وانتهت به الرحلة إلى مدينة بست، فأقام بقية حياته وفيها توفي سنة 388هـ.

كان رجلا صالح كريما، تاجرا ينفق منه على العلماء وطلبة العلم، تعلم الفقه على أبي بكر القفال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة وغيرهما من فقهاء الشافعية، من شيوخه في

اللغة والأدب نخبة من علماء بغداد في عصره أمثال إسماعيل الصفار، وأبا عمر الزاهد، وأبا العباس الأصم، وأحمد بن سليمان النجار، وأبا عمرو السماك، وروى عنه الكثير منهم أبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسي البستي، وأبو بكر محمد بن الحسن المقريء، وأبو حامد الإسفراييني، والحاكم النيسابوري.

أما كتبه فكثيرة يغلب عليها الحديث والفقه، منها: معالم السنن، وغريب الحديث، وتفسير أسماء الرب عز وجل، أو شرح أسماء الله الحسنى، وشرح الأدعية المأثورة، وشرح البخاري، كتاب العزلة، أو الاعتصام، وإصلاح غلط المحدثين، وكتاب العروسي، وكتاب أعلام الحديث، ورسالة في بيان إعجاز القرآن ومعالم التنزيل[20].

في رسالة الخطابي بيان إعجاز القرآن، عدد صفحاتها من القطع الصغير في 125 صفحة، وهي طبعة السيد عبد الله الصديق سنة 1953م، بمطبعة دار التأليف بالقاهرة، يسرد الخطابي سبعة شواهد شعرية يوظفها لبيان معنى ستة ألفاظ قرآنية لبيان المعنى الحقيقي لها من خلال اختيار الشاهد الشعري من دواوين العرب الشعرية.

يتطرق الخطابي في هذه الرسالة إلى موضوع البلاغة وإلى علم البيان تحديدا، حين يعيب على القائلين اعتمادهم على التقليد وعدم التحقيق في آيات القرآن، وقصور كلامهم عن الإقناع، فيعالج هو الموضوع على طريقته، بحيث يوظف الشعر في بيان المعنى المقصود من الآية، من خلال تتبع اللفظ ودلالته في سياق الآية، وبهذا يكون الخطابي قد جدد موضوع توظيف الشاهد الشعري في بيان المعنى في التفسير من خلال سياق الآيات، بعد حبر الأمة عبد الله بن عباس ﷺ، ويكون له الفضل في تجديد هذا الأصل في تفسير القرآن الكريم، ومن ثم يطرح الخطابي عدة إشكالات لتوهم فهم اللفظة في سياق الآية، ويعرض تلك الأوهام، ثم يحل الإشكال بعد طرحه بأسلوب بلاغي بياني، معتمدا في ذلك على توظيف الشعر في حل الإشكال المطروح.

الشاهد الأول . بين الأكل والافتراس:

بداية يطرح الخطابي تساؤلات وإشكالات ليجيب عليها حين يوظف الشعر في حلها، بقوله:

فإن قيل: إنا لا نسلم لكم ما ادعيتموه من أن العبارات الواقعة في القرآن إنما وقعت في أفصح وجوه البيان وأحسنها، لوجودنا أشياء منها بخلاف هذا الوصف عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة بها كقوله: (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) يوسف 12، وإنما يستعمل مثل هذا في فعل السباع خصوصا (الافتراس) يقال: افترسه السبع، هذا هو المختار الفصيح في معناه، فأما الأكل فهو عام لا يختص به نوع من الحيوان دون نوع[21]..!

فيوضح الخطابي هذا الإشكال بالاستعانة بالشاهد من الشعر لتوضيح المعنى الصحيح، ولحل هذا الإشكال الواقع، يقول: فأما قوله تعالى: (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الافتراس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب انه أكله أكلا على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطى تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل، على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع، وحكى ابن السكيت في ألفاظ العرب قولهم: أكل الذئب الشاة فما ترك منها تامورا، (التامور: الوعاء والنفس وحياتها، والقلب وحبته ودمه، أو الدم).

ثم استشهد الخطابي بقول الفرزدق، فقال: وقال بعض شعرائهم:

فتًى ليس لابن العمِّ كالذئبِ إن رأى ** بصاحبه يوما دما فهو آكلُه[22].

وموضع الشاهد (فهو آكله): أي لم يبق منه شيء.

ثم استشهد بموضع آخر فقال: وقال آخر:

أبا خراشَةَ أمّا أنت ذا نفَر ** فإنّ قوميَ لم تأكلْهُم الضّبُعُ[23].

وفي حديث عتبة بن أبي لهب أنه لما دعا عليه النبي ﷺ فقال: "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك"، فخرج في تجْر إلى الشام، فنزل في بعض المنازل، جاء الأسد وأطاف بهم فجعل

عتبة يقول: أكلني السبع، فلما كان في بعض الليل علا عليه ففدغ رأسه، وقد يتوسع في ذلك حتى يجعل العقر أكلاً، وكذلك اللدغ واللسع، أخبرنا أبو عمر قال: أخبرنا أبو العباس عن الأعرابي عن أبي المكارم قال: "مررت بمنهال وعلى شفيره صنبور بيده شوشب، فقلت لأمه: أدركي القامة لا تأكله الهامة، قال: أبو العباس: "الشوشب: العقرب، والقامة: الصبي الصغير"، وحكى أيضا عن بعض الأعراب: أكلوني البراغيث، فجعل قرص البرغوث أكلا، ومثل هذا في الكلام كثير[24].

ولم يشر إلى هذا أحدا من المفسرين المشهورين كالطبري وابن كثير والقرطبي، ويكون قد تفرد به الخطابي في هذه الرسالة، وقد تكون هذه الرسالة لم تصل إلى أيدي المفسرين، أو لندرتها، وعدم اشتهارها كرسالة في صفحات معدودة، والله أعلم.

قال القرطبي في تفسيره: "وذلك أنهم لما سمعوا أباهم يقول:" وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ فِيهِ فَتَحَرَّمُوا بِهِ"

وقال القرطبي: روي أن يعقوب لما قالوا له:" فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ" قال لَهم: أَلَم يترك الذئب له عضوًا فَتأتوني بِهِ أَستَأْنس به؟! أَلَم يترك لِي ثوبا أَشُمُّ فِيه رائحته؟ قالوا: بلَى! هذَا قميصه ملطوخ بدمه، فذلك قوله تعالى: (وَجاءُو عَلى قَمِيصِه بِدَمٍ كَذِبٍ) فَبكَى يَعقوب عند ذلِك وقال، لِبَنِيهِ: أَروِني قَمِيصَه، فأَروه فشمَّهُ وقبَّله، ثُم جعل يقلِّبه فلَا يرى فيه شقا ولَا تَمزيقا، فقال: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا رأَيت كاليومِ ذئبا أَحكم منه، أكل ابنِي وَاختلسه من قميصه ولَم يُمزقه عليه، وعلم أن الأمر ليس كما قالوا، وأن الذئب لَم يأكله، فأعرض عَنهم كالمغضب باكيا حزينا وقال: يا معشر ولدي! دلوِني على ولدي، فَإِن كان حيا رددته إلي، وإن كان ميتا كفنته ودفنته، فقيل قالوا حينئذ: أَلَم تروا إلى أَبينا كيف يكذبنا فِي مقالتنا! تعالوا نُخرجه من الجب ونقطعه عضوا عضوا، ونأت أبانا بأحد أعضائه فيصدقنا

فِي مقالتنا ويقطَع يأسه، فقال يهُوذا: واللَّهِ لئن فعلتم لَأَكُونَنَّ لَكُم عَدُوًّا ما بقيت، ولأخبِرنَّ أَباكم بسوءِ صنيعكم، قالوا: فإذا منعتنا من هذا فتعالَوا نَصطَدْ لَه ذئبًا، قال:

فَاصطَادُوا ذِئبًا وَلَطّخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال، ثُم جاءُوا بِه يَعقوب وَقَالُوا: يا أَبانا! إِن هذا الذِّئْبَ الَّذِي يَحلُّ بِأَغنامنا ويَفترَسها، وَلَعَلَّهُ الَّذِي أَفجعنا بِأَخينا لَا نشكّ فِيه، وهذا دمه علَيه، فقال يعقوب: أَطلِقوه، فأَطلَقوه، وَتَبَصْبَصَ له الذئب، فَأَقبل يَدنو منه ويعقوب يقول له: ادْنُ ادْنُ، حتَّى ألصق خدّه بِخَدِّهِ فقال له يعقوب: أيها الذئب! لِم فجعتنِي بولدي وأَورَثتنِي حزنا طويلًا؟! ثُمَّ قال اللَّهم أَنطقه، فأنطقه اللَّهُ تعالَى فقال: والذي اصطَفاك نَبِيّا ما أكلت لَحمه، ولَا مزَّقت جلده، ولا نتفت شعرة من شعراته، واللهِ! ما لِي بولدك عهد، وإِنما أَنا ذئب غرِيب أَقبلت مِن نواحِي مصر فِي طلب أَخ لِي فقد، فلَا أَدرِي أحي هو أم مَيّت، فَاصطادنِي أَولَادك وأَوثقونِي، وَإِنَّ لُحُوم الأَنبِياء حرِّمَت علَينا وعلَى جَمِيعِ الْوحوش، وتاللَّهِ! لَا أَقمت فِي بِلَاد يَكْذِب فِيها أَولَاد الأَنبياء علَى الوحوش، فأطلقه يعقوب وقال: واللَّه لقد أتيتم بِالحجة على أنفسكم، هذا ذئب بَهِيم خرج يتبع ذمام أخيه، وأنتم ضيعتم أخاكم، وقد علمت أن الذئب برئ مما جئتم به. (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ) أي زينت. (لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) غير مَا تصفون وتذكرون. ثم قال توطئة لنفسه: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)[25].

من خلال ما ورد في الإسرائيليات التي أوردها القرطبي، يتبين أن الرواية صحيحة، والتأويل أقرب لتفسير هذه الآية، وذلك لعدة أسباب:

أولا. جاء في الرسم العثماني للفعل (جَاءُو) وقد تكرر مرتين ناقصا وبدون ألف الجماعة، وذلك لأن مجيئهم ينقصه الصدق، لذلك حذفت الألف في الموضعين، في قوله تعالى: (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) يوسف: 16، وفي قوله تعالى: (وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) يوسف: 18.

ثانيا . أن مجيئهم لأبيهم مرتين في هذه الحادثة، والدليل تكرر فعل (جَاءُو) مرتين وقبل مجيء السيارة.

وهو ما يؤكد الرواية الإسرائيلية، التي أثبتت أن أبناء يعقوب جاءوا أباهم عشاء يبكون، وحين سألهم أباهم عن سبب بكائهم، أخبروه بأنهم حين تركوه عند متاعهم ليتسابقوا

جاء ذئب وأكله ولم ترك له عظم، واستخدموا كلمة (أكله) .كما بينه الخطابي، حتى لا يطالبهم أباهم بجزء منه، أو ببعض ما تركه الذئب المفترس، ثم اقتصرت مطالبة أبيهم بالقميص، فرجعوا وتأمروا على أخاهم مرة أخرى وعزموا على إخراجه من البئر وتقطيعه ليثبوا أقوالهم السابقة، ولكن أخاهم الكبير نهرهم وزجرهم عن فعلتهم هذه، فاقتصروا على صيد ذئب وتلطيخ قميص يوسف، بعد أن أخرجوه مرة ثانية من البئر ونزعوا قميصه ليكون دليلا على صدقهم، ثم لطخوه بدم شاة، ثم كان المجيء الثاني حين قال الله تعالى: (وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)، وحرف (الواو) المتقدم على الفعل (جَاءُو) يدل على العطف لما قبله، أي أنهم جاءوا أباهم مرة ثانية بالقميص، مما يثبت أن مجيئهم في المرة الأولى في وقت العشاء كان بدون قميص، لذلك رد عليهم أبيهم : (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)، يوسف: 83.

الشاهد الثاني: الكيل اليسير، بين اليسير والعسير

يقول الخطابي: وقوله تعالى: (ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)، يوسف: 65.

قالوا: وما اليسير والعسير من الكيل والاكتيال، وما وجه اختصاصه بهذه وأنت لا تسمع فصيحا يقول: كلت لزيد كيلا يسيرا إلا أن يعني به أنه يسير العدد والكمية!![26].

ولحل هذا الإشكال يورد الخطابي دليلا من الشعر ليثبت عكس ما ادعاه أصحاب من قالوا بأن اليسير هو الكيل القليل في العدد والكمية، ليثبت أن المقصود من اليسير في الآية يعني السهل.

قال الخطابي: وأما قوله سبحانه: (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)، يوسف: 65.

فإن معنى الكيل المقرون بذكر البعير المكيل، والمصادر توضع موضع الأسماء كقولهم: هذا درهم ضرب الأمير، وهذا ثوب نسج اليمن، أي مضروب الأمير ونسيج اليمن، والمعنى أنّا نزداد من الميرة المكيلة إذا صحبنا أخونا حمل بعير. فإذا كان لكل رأس منهم حمل واحد لا يزيده على ذلك لعزة الطعام، فكان ذلك في السنين السبع القحطة، وكانوا لا يجدون الطعام إلا عنده، ولا يتيسر لهم مرامه إلا من قبله، فقيل على هذا المعنى: (ذلك كيل

يسير)، أي متيسر لنا إذا تسببنا إلى ذلك باستصحاب أخينا، واليسير شائع الاستعمال فيما يسهل من الأمور كالعسير فيما يتعذر منها، ولذلك قيل يُسِّر الرجل إذا نُتِجت مواشيه، وكثر أولادها.

ثم يوظف الخطابي بيتين من الشعر ليبين دلالة اللفظ على المعنى المراد من لفظة (يسير)، فيقول: قال الشاعر:

يَعُدُّ الفتى من نفسه كلَّ ليلة ** أصاب غناها من صديق مُيَسر.

والشاهد (ميسر) ويسر الرجل تيسيرا إذا سهلت ولادة إبله وغنمه، والغنم لبنها أو نسلها.

ثم يسرد الخطابي شاهدا ثاني، فيقول: وقال آخر[27]: وينشد قبله بيتا آخر:

إن لنا شيخين لا ينفعاننا ** غنيين لا يجدي علينا غناهما.

هما سيِّدانا يزعمان وإنما ** يسودانا أنْ يَسَّرت عنماهما.

وقد قيل في ذلك: كيل يسير أي: سريع لا حبس فيهن وذلك أن القوم كانوا يحبسون على الباب، وكان يوسف يقدمهم على غيرهم، وقد قيل إن معنى الكيل هنا السعر، أخبرني أبو عمر عن أبي العباس قال: والكيل بمعنى السعر، كيف الكيل عندكم؟ أي: كيف السعر؟ وقد أنشدنا عمرو ابن أبي عمرو الشيباني عن أبيه[28]:

فإن تكُ في كيل اليمامة عسرة ** فما كيل ميَّافارقين[29]بأعسرا.

وعلى هذا جرى على ألسنة المفسرين من بعده، بأن المقصود باليسير في الآية هو: لا مؤنة فيه ولا مشقة، قال: البغوي في تفسيره لهذه الآية:

(وَنَزْدادُ)، عَلَى أحملنا، (كَيْلَ بَعِيرٍ)، أَيْ: حِمْلَ بَعِيرٍ يُكَالُ (يكتال) لَنَا من أَجله، لِأَنَّهُ كَانَ يعطِي بِاسْمِ كل رجلٍ حِمل بعير، (ذلِك كَيْلٌ يَسِيرٌ)، أَيْ: ما حملنَاه قَليل لَا يكفينا وأهلنا، وقيل: معناه (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)، لَا مؤنَةَ فيه ولَا مشقّة[30].

أما الزمخشري فكان له عدة آراء يقرر فيها ما قرره الخطابي، فقال عندما تعرض لتفسير هذه الآية:

(ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)، أي: ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعنون: ما يكال لهم، فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير، أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه، أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه، ويجوز أن يكون من كلام يعقوب: وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد، كقوله: (ذلِكَ لِيَعْلَمَ)، قوله كقوله: (ذلك ليعلم) أي أن الزمخشري يقصد: هل المراد أن جواز كونه من كلام يعقوب، لأن المعنى يؤدى إليه، كما جاز في قوله تعالى: (ذلِكَ لِيَعْلَمَ) كونه من كلام يوسف، لأن المعنى يقود إليه، فتدبر[31].

أما ابن عطية فكان له تأويل آخر يستحق التأمل، حيث أورد رأيه ثم استدل بقول الحسن البصري، مما يدل على سعة علمه وحسن رأيه وتفكيره وتدبره في سياق الآية، فيقول في تفسيره

وقولهم: (ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) تقرير بغير ألف، أي أذلك كيل يسير في مثل هذا العام فيهمل أمره؟

وقيل: معناه: يَسِيرٌ على يوسف أن يعطيه، وقال الحسن البصري: وقد كان يوسف وعدهم أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن وقال السدي: معنى (ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) أي: سريع لا نحبس فيه ولا نمطل.

قال القاضي أبو محمد: فكأنهم أنسوه على هذا بقرب الأوبة[32].

الشاهد الثالث: بين المشي والمضي والانطلاق

يتعرض الخطابي إلى الإشكال الثالث، فيقول: قوله تعالى: (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم)، ص 6، قالوا: والمشي في هذا ليس بأبلغ الكلام، ولو قيل بدل ذلك أن امضوا وانطلقوا لكان أبلغ وأحسن!![33].

يقول الخطابي: وأما قوله سبحانه: (أن امشوا واصبروا على آلهتكم)، ص:6، وقول من زعم أنه لو قيل بدله: امضوا وانطلقوا كان أبلغ، فليس الأمر على ما زعموا، بل المشي في هذا المحل أولى وأشبه بالمعنى، وذلك لأنه إنما قصد به الاستمرار على العادة الجارية ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاج منهم ولا انتقال عن الأمر الأول، وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به في قوله: (واصبروا على آلهتكم)، والمعنى كأنهم قالوا: امشوا على هيئتكم وإلى مهوى أموركم، ولا تعرجوا على قوله، ولا تبالوا به ، وفي قوله: امضوا وانطلقوا زيادة انزعاج ليس في قوله امشوا، والقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه، وقيل: بل المشي هاهنا معناه التوفر في العدد والاجتماع للنصرة دون المشي الذي هو نقل الأقدام، من قول العرب: مشى الرجل إذا كثر ولده، وانشدوا:

والشاة لا تمشى على الهَمَلَّع

أي: لا يكثر نتاجها، والهملع: الذئب[34].

وقال ابن منظور في اللسان كذلك: وقال ابن الأَثير: وأَكثر ما يستعمل في الغنم، ومَشَتْ مَشاء: كثُرت أَولادُها، ويقال: مَشَتْ إِبل بني فلان تَمْشي مشاء إِذا كثرت، والمِشاء: النَّماء، ومنه قيل: الماشيةُ وكلُّ ما يكون سائمةً للنسل والقِنْية من إِبل وشاءٍ وبقر فهي ماشِيةٌ، وأَصل المِشاء: النَّماء والكثرة والتَّناسُل، وقال الراجز:

مِثْلِيَ لا يُحْسِنُ قَوْلاً فَعْفَعِي ** العَيْرُ لا يَمْشي مع الهَمَلَّعِ

الماشِيةُ تكون من الإِبل والغنم، يقال: قد أَمشى الرجل، إِذا كثرَت ماشِيَتُه، ومَشَت الماشِيةُ: إِذا كثرت أَولادُها، قال النابغة الذبياني:

فكُلُّ قَرينةٍ ومَقَرِّ إِلْفٍ ** مُفارِقُه إِلى الشَّحَطِ القَرِينُ

وكلُّ فَتًى وإِن أَثْرَى وأَمْشى ** ستَخْلِجُه عن الدُّنْيا مَنُونُ

وكلُّ فَتًى بما عَمِلتْ يَداهُ ** وما أَجْرَتْ عَوامِلُه رَهِينُ[35].

الشاهد الرابع: معنى الشديد

يقول الخطابي: وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) العاديات 8.

وأنت لا تسمع فصيحا يقول: أنا لحب زيد شديد، وإنما وجه الكلام وصحته أن يقال: أنا شديد الحب لزيد، وللمال، ونحوه!![36].

وللإجابة على هذا الاشكال قال الخطابي:

وأما قوله سبحانه: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)، وأن الشديد معناه هاهنا البخيل، ويقال: رجل شديد ومتشدد، أي بخيل، قال طرفة بن العبد[37]:

أرى الموت يعتام النفوس ويصطفي** عقيلة مال الفاحش المتشدد.

واللام في قوله: (لحب الخير) بمعنى لأجل حب الخير وهو المال لبخيل[38].

وعلى هذا المعنى قرر ابن منظور أن الشديد بمعنى البخيل، فقال:

ورجل شَدِيد: شحيح، وفي التنزيل العزيز: (وإنه لحبِّ الخيرِ لشديد) قال أَبو إِسحق: إِنه من أَجل حُبِّ المال لبخيل، والمتَشَدِّدُ: البخيل، كالشديد، قال طرفة:

أَرى الموْتَ يَعْتامُ الكِرامَ ويَصْطَفي ** عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المتَشَدِّدِ[39].

ثم أورد ابن منظور بيتا آخر يشتشهد به على نفس المعنى فقال:

وقول أَبي ذؤَيب: حَدَرْناهُ بالأَثْوابِ في قَعْرِ هُوَّةٍ شديدٍ على ما ضُمَّ في اللَّحْدِ جُولُها.

أَراد: شَحِيحٍ[40].

وأورد الشوكاني مثل ذلك ما نقله عن الزمخشري في الكشاف، فقال:

والفاحش عند العرب: البخيل.

ثم قال الشوكاني: ومنه قول طرفة بن العبد:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي ** عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

ولكن العرب وإن أطلقته على البخيل فذلك لَا ينافِي إِطلَاقهم له على غيره من المعاصِي[41]، وعلى هذا فالشاهد الشعري لطرفة بن العبد وضح المعنى المراد من الآية، واستقام المعنى وظهر بأن الآية في موضع ذم البخل، وبينت الآية أن سبب البخل هو حب الإنسان الشديد المفرط للمال.

وفي باديء الأمر فظاهر الآية وكأنها تقول: وإنه لحب المال لشديد، ولا يظهر محل الذم، لأن حب المال ليس موضع ذم، فالنفوس تحب المال، وقد قال الله تعالى في سورة آل عمران: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)، وبعد معرفة لفظة (شديد) التي هي بمعنى: البخيل، من خلال الشاهد الشعري يتبين أن الآية في موضع ذم البخل الذي سببه حب المال.

الشاهد الخامس: زيادة الحرف (لا) وحذفها، وحل الإشكال بالشاهد الشعري

قال الخطابي: سمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج، قال: سأل رجل بعض العلماء عن قول الله عز وجل: (لاَ أُقْسِمُ بِهَذا البَلدِ)، البلد1، فأخبر أنه لا يقسم، ثم أقسم به في قوله تعالى: (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا)، التين 2.1، فقال له ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك، أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ قال: لا بل اقطعني ثم أجبني، فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهراني قوم أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا، وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت، ثم قال له: إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها، كقول الشاعر:

في بئر لا حُور سرى وما شَعَرْ

يريد في بئر حور سرى وما شعر.

ثم أورد الخطابي شاهدا آخر على حل الإشكال في قول ابن الأعرابي فقال:

وأخبرني أبو عمر عن أبي العباس عن ابن الأعرابي، قال: العرب تذكر (لا) وتلغيه وتضمر (لا) وتستعمله، وأنشد في الأول قوله: في بئر لا حور سرى وما شعر.

وفي الآخر قول الشاعر:

أوصيك أن تحمدك الأقارب ** أو يرجع المسكين وهو خائب.

يريد: أوصيك ألا يرجع المسكين خائبا.

قال الخطابي: قلت: فهذا وما أشبهه زيادات حروف في مواضع من الكلام وحذف حروف في أماكن أخر منها، إنما جاءت على نهج لغتهم الأولى قبل أن يدخلها التغيير، ثم صار المتأخرون إلى ترك استعمالها في كلامهم، فافهم هذا الباب، فإنك إذا أحكمت معرفته استفدت علما كثيرا، وسقطت عنك مئونة عظيمة، وزال عنك ريب القلب، وتخلصت من شغب الخصم، ولا قوة إلا بالله[42].

وأورد الشوكاني في تفسير هذه الآية نفس البيان ووضحه ببيت آخر من الشعر:

(لاَ أُقْسِمُ بِهَذا البَلدِ)، و(لا) زائدة، ومن زيادة (لا) في الكلام في غير القسم قول الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ** وكاد صميم القلب لا يتصدع.

أي يتصدع، ومن ذلك قوله تعالى: (ما منعك أن لا تسجد) أي: أن تسجد، قال الواحدي: أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة، وبه قال ابن عباس: قرأ الجمهور: (لاَ أُقْسِمُ)، وقريء: (لأُقْسِمُ) من غير ألف، وقيل هو نفي للقسم[43].

وقال القنوجي في فتح البيان: والمعنى لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه، وقال مجاهد إن " لا " رد على من أنكر البعث ثم ابتدأ فقال: " أقسم " والمعنى: ليس الأمر كما تحسبون، والأول أولى[44].

الشاهد السادس: زيادة حرف (الباء)

يقول الخطابي: والجواب[45]عن قوله سبحانه: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)، فنقول: قد قيل إن الباء زائدة.

والمعنى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم، والباء قد تزاد في مواضع من الكلام ولا يتغير به المعنى. كقولك: أخذت الشيء وأخذت به، وكقول الشاعر:

(نحن بني ضبة أصحاب الفلج) ** نضرب بالسيف ونرجو بالفرج.

قال ابن منظور: أي: الفرج؛ وربما وضع موضع قولك: (من أجل) كقول لبيد:

غلب تشذر بالذحول كأنهم ** جن البدي رواسيا أقدامها.

أي: من أجل الذحول، وقد توضع موضع على كقوله تعالى: ومنهم من إن تأمنه بدينار؛ أي على دينار، كما توضع على موضع الباء كقول الشاعر:

إذا رضيت علي بنو قشير ** لعمر الله أعجبني رضاها.

أي رضيت بي[46].

وقول الآخر:

هن الحرائر لا ربات أحمرة ** سود المحاجر لا يقرأن بالسور[47].

يقال: قرأت البقرة، وقرأت بالبقرة، وقد قرأ غير واحد من القراء: (تنبت بالدهن)، بضم التاء منهم ابن كثير وأبو عمرو، وزعم بعضهم أن معناه تنبت الدهن، وبعضهم: تنبت وفيها دهن، كما يقال: جاء زيد بالسيف، أي: جاء ومعه السيف، وكذلك قوله سبحانه: (أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر...)، الأحقاف:33، المعنى: قادر على أن يحيي الموتى، قالوا: وإما تدخل الباء في هذا المعنى مع حرف الجحد كقوله: (أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى)، القيامة: 40، وقد ضارع ألم في معنى الجحد أليس، فألحق بحكمه، قالوا: ودخول أن إنما هو توكيد للكلام، وأنشد الفراء في مثل هذا الباء:

فما رجعت بخائبة ركاب ** حكيم بن المسيب منتهاها.

قال: فأدخل الباء، قال: وتقول: ما أظنك بقائم، فإذا حذفت الباء، نصبت الذي كانت فيه بما تعمل فيه من الفعل[48].

ونلاحظ في هذا المجال أن الخطابي كان يكثر من الاستشهاد بالشعر، وهو بعمله هذا كثير الشبه بتفسير عبد الله بن عباس لغرائب القرآن كما رأينا.

وأورد الواحدي في تفسيره: قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} قال: "جميع أهل المعاني قالوا في (بإلحاد) زيادة[49]، معناه: ومن يُرِدْ فيه إلحادًا بظلم، وهو قول الفراء[50]، والأخفش[51].

ثم قال الواحدي: قال الفراء: سمعت أعرابيًّا من ربيعة وسألته عن شيء فقال: أرجو بذاك. يريد أرجو ذاك قال: ودخلت الباء في {بِإِلْحَادٍ} لأن تأويله: ومن يرد بأن يلحد فيه. ودخول الباء في (أن) أسهل منه في الإلحاد؛ لأن (أن) تُضمر الخافض معها كثيرًا، فاجتمعت دخول الخافض وخروجه؛ لأن الإعراب لا يتبين فيها وقل دخولها في المصادر لتبين الإعراب فيها وأنشد[52]:

ألا هل أتاها والحوادث جَمَّة ... بأنَّ أمرأ القيس بن تَمْلِك بيقرا[53]

فأدخل الباء على (أن) وهي في موضع رفع[54]، وقال الواحدي: وقال المبرد: قال آخرون: إنما يحمل هذا على مصدره. والمعنى: من كانت إرادته واقعة بالإلحاد، فدخلت الباء للمصدر[55].

قائمة المصادر ومراجع الدراسة

[1] . أستاذ التفسير وعلوم القرآن، بمعهد العلوم الإسلامية جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

[2] . أخرجه أبو يعلى (11/ 436)، رقم (6560)، والحاكم (2/ 439)، وابن أبي شيبة (10/ 456)، رقم (9961)، كلهم من طريق عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعا، وقال الحاكم: صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا، وتعقبه الذهبي بقوله: بل أجمع على ضعفه، وذكره أيضا الألباني في السلسلة الضعيفة.. رقم (1345) وقال: ضعيف جدا.

[3] . انظر التفسير البسيط، الواحدي، النيسابوري، (ت 468هـ)، (1/ 143)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430 هـ). و(القصة في "الموافقات" الموافقات، الشاطبي (ت 790هـ)، 1/ 58، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/ 1997م).

[4] . انظر تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني (ت211هـ)، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، سنة 1419هـ).

[5] . فتح القدير، الشوكاني (ت 1250هـ)، 3/ 198، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.

[6] . هذا عجز البيت، وصدره كما في اللسان: عذافرة تقمّص بالرّدافي. المرجع: لسان العرب، ابن منظور، مادة (عذفر)، 114/9، دار صادر، بيروت، ط1.

[7] . فتح القدير، الشوكاني (ت 1250هـ)، 3/ 198.

[8] . بيان إعجاز القرآن للخطابي (319 . 388هـ)، ص: 34)، والإتقان في علوم القرآن (1/ 347)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.

[9] . والفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به. وقد فطره يفطره، بالضم، فطرا أي خلقه... وقال أبو الهيثم: الفطرة الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه؛ قال وقوله تعالى: (الذي فطرني فإنه سيهدين)؛ أي: خلقني، أورده ابن منظور (ت711هـ) في اللسان، 5/ 56، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

[10] . لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ)، ص: 12 .16.

[11] . (الإتقان في علوم القرآن (4/ 234) عن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله ﷺ : "نعم ترجمان القرآن أنت").

[12] . الإتقان في علوم القرآن 2/ 67.

[13] . أورد الصنعاني بسنده عن عبادة بن نُسَيٍّ، قال: دخل رسول اللَّه ﷺ، المسجد فرآهم عِزِينَ حِلَقًا، فقال: (ما لِي أراكم عِزِينَ حِلَقًا كَحِلَقِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ جَلَسَ رَجُلٌ خَلْفَ أَخِيهِ؟)، وأورد كذلك عن قَتَادَةَ، في قوله تعالى: (عِزِينَ) المعارج: 37 قال: (العِزِينَ الْحِلَقِ الْمَجَالِسُ) انظر تفسير عبد الرزاق (3/ 345 و347.

[14] . أورد الصنعاني بسنده عن الحسن في قوله تعالى: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)، المائدة: 35، قال: (الْقُرْبَةَ)، انظر تفسير عبد الرزاق (2/ 17).

[15] . أخرج الطبري بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما (وَرِيشًا) يعني: مالًا، الطبري، 8/ 148، وقال ابن منظور: والريش والرياش: الخصب والمعاش والمال والأثاث واللباس الحسن الفاخر. وفي التنزيل العزيز: (وريشا ولباس التقوى)، انظر لسان العرب (6/ 309).

[16] . قال ابن منظور وفي التنزيل العزيز: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ)؛ قال الفراء: يقول: خلقناه منتصبا معتدلا، انظر لسان العرب (3/ 376).

[17] . قال الواحدي في تفسيره: قال أبو عبيدة والليث: (ألم ييئس): ألم يعلم، وأنشد أبو عبيدة:

أقُولُ لهم بالشِّعْبِ إذ يأسِرُونَنِي ... ألم تَيْأسُوا أني ابنُ فارِسِ زَهْدَمِ.

بمعنى: ألم يعلموا، وهي بلغة النخع، انظر التفسير البسيط (12/ 353)، وفي لسان العرب، فصل الياء، 260/6.

[18] . قال الواحدي في قوله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ)، أي: الجأها واضطرها يقال: جاء بها وأجاءها بمعنى هذا قول جميع أهل اللغة، وأنشدوا لزهير:

وَجَار سارَ مُعْتَمِدًا إليكُم ** أَجَأَتْهُ المِخَافَةُ والرَّجَاء.

قالوا: والعرب تقول في أمثالها: شر مَا أَلجَأَكَ إلى مُخَّةِ عُرْقُوب. يريدون: اضطرك وألجأك إليها. انظر التفسير البسيط، 219/14.

[19] . انظر الإتقان في علوم القرآن (1/ 348 . 350).

[20] . انظر ترجمته: إرشاد الأريب لياقوت ط مرجليوث، 81/2 . 83، والأنساب للسمعاني، 202، وبغية الوعاة للسيوطي، 239، وتذكرة الحفاظ للذهبي، 2/ 223. 224، وشذرات الذهب، لابن العماد، 127/3، وطبقات الشافعية للسبطي، 218/2، وعيون التاريخ لابن شاكر، التيمورية رقم 1386، وابن خلطان ط محي الدين، 153/1 . 155).

[21] . بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص: 37 . 38).

[22] . ينسب البيت للفرزدق، وفي بعض المراجع لزينب بنت الطثرية، ونسبه ابن منظور إلى الفرزدق، انظر لسان العرب، ابن منظور، حال، 184/11، انظر الحيوان 298/6، ويقول الجاحظ في الحيوان، 63/7: "الذئب لا يطمع فيه صاحبه، فإذا دمى وثب عليه صاحبه فأكله".

[23] . أورده ابن منظور في اللسان، (خرش)، 293/6، قال ابن بري البيت لعباس بن مرداس السُّلمي، وأبو خراشة: هو خفاف بن ندبة، ونجبة أمه، فقال يخاطبه إن كنت ذا نفر وعدد قليل، فإن قومي عدد كثير لم تأكلهم الضبُع، وهي السنة المجدبة، وروى هذا البيت سيبويه، أما (أنت ذا نفر)، فجعل (أنت) اسم كان المحذوفة، وأما عوض منها و(ذا نفر) خبرها، وأن مصدرية، وقال ابن منظور في اللسان 8/ 216: قال الأزهري: معناه أَن قَوْمِي ليسوا بِأَذلاَّءَ فتأْكلهم الضَّبُع ويَعْدُو عليهم السبُع..

[24] . بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص: 42 .42.

[25] . انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت 671هـ)، (9/ 148- 151)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

[26] . بيان إعجاز القرآن ص: 43.

[27] . وهو أبو أسيد الدبيري كما في اللسان، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ ، 296/5، وأورده القرطبي في تفسيره، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م، 85/20.

[28] . هذا البيت يرويه ياقوت في معجم البلدان، 235/5، دار الفكر بيروت، وينسبه إلى بعض الشعراء.

[29] . ميافارقين: مدينة بديار بكر. معجم البلدان، 235/5.

[30] . انظر معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (ت 510هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ – 1997 م، (4/ 257).

[31] . انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407هـ، 486/2 -487.

[32] . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422 هـ (3/ 261).

[33] . بيان إعجاز القرآن ص: 38.

[34] . قال ابن منظور في اللسان: والهَمَلَّعُ والسَّمَلَّعُ: الذئب الخفيف، وربما سمي الذئب هَمَلَّعاً ولامه مشدّدة قال ابن سيده وأَظنها زائدة قال: لا تأْمُرِيني بِبَناتِ أَسْفَعِ ** فالشاةُ لا تَمْشِي مع الهَمَلَّعِ.

أَسْفَعُ: فَحْلٌ من الغنم وقوله: لا تمشي مع الهَمَلّع أَي: لا تكثر مع الذئب.

انظر لسان العرب ابن منظور، مادة (مشى)، دار صادر، بيروت، ط1،(8/ 376).

[35] . لسان العرب، 281/15.

[36] . بيان إعجاز القرآن، ص: 37.

[37] . ديوان طرفة، ص31، والعقد الثمين، 58 روايته: يعتام الكرام.

[38] . بيان إعجاز القرآن، ص: 44.

[39] . لسان العرب (3/ 232).

[40] . لسان العرب، ابن منظور، 343/3.

[41] . انظر فتح القدير، للشوكاني (ت 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ، (1/ 332).

[42] . بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص 47 . 48.

[43] . انظر فتح القدير، الشوكاني، (ت 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، (5/ 538).

[44] . انظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي (ت1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بَيروت، 1412 هـ - 1992 م، 237/15.

[45] . بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص: 48.

[46] . من شواهد ابن منظور في اللسان، 343/15 -344، وشطره الأول: نحن بني ضبة أصحاب الفلج.

[47] . أورده ابن منظور في اللسان، (3/ 389) فقال: وأصله من قوله تعالى: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)؛ أي: إلحادا بظلم، والباء فيه زائدة؛ قال حميد بن ثور: قدني من نصر الخبيبين قدي، ... ليس الإمام بالشحيح الملحد.

أي الجائر بمكة، قال الأزهري: قال بعض أهل اللغة معنى الباء الطرح، المعنى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم؛ وأنشدوا:

هن الحرائر لا ربات أخمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور.

المعنى عندهم: لا يقرأن السور، قال ابن بري: البيت المذكور لحميد بن ثور هو لحميد الأرقط، وليس هو لحميد بن ثور الهلالي كما زعم الجوهري.

[48] . بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص:48.

[49] . قال ابن العربي في "أحكام القرآن" 3/ 1276: تكلم الناس في دخول الباء (هاهنا)، فمنهم من قال: إنها زائدة. وهذا مما لا يحتاج إليه في سبيل العربية؛ لأن حمل المعنى على الفعل أولى من حمله على

الحرف، فيقال المعنى: ومن يهم فيه بميل يكون ذلك الميل ظلمًا؛ لأن الإلحاد هو الميل في اللغة، إلا أنه قد صار في عرف الشريعة ميلا مذمومًا، فرفع الله الإشكال، وبين أن الميل بالظلم هو المراد هنا.

[50] . انظر: "معاني القرآن" للفراء 2/ 223.

[51] . انظر: "معاني القرآن" للأخفش 2/ 636.

[52] . البيت أنشده الفراء 2/ 222 لامرئ القيس، وهو في "ديوانه" 392 من رواية السكري وغيره، والطبري 17/ 139، وهذا البيت من قصيدة طويلة قالها بعد أن ذهب إلى الروم مستنجدًا بقيصر للأخذ بثأر أبيه.

[53] . و(بيقرا): (قيل: بَيْقَرا لرجل بيقرة، إذا هاجر من أرض إلى أرض، وقيل: بَيْقر الرجل أقام بالحضر وترك قومه بالبادية. وقيل: بيقر الرجل إذا خرج من الشام إلى العراق، الصحاح، للجوهري 2/ 595، لسان العرب، مادة بقر، 4/ 75.

[54] . معاني القرآن، للفراء 2/ 222 – 223.

[55] . التفسير البسيط، الواحدي، (15/ 347 -349).